

وثيقة مقدسية تاريخية جديدة

د. كامل جميل العاي
الجامعة الاردنية

كتاب الوقف الذي أنشاه الملك
الظاهر بيبرس بن عبد الله
البندراقي الصالحي المتوفى
سنة ٦٧٦ هـ على مقام
النبي موسى
عليه السلام

تقديم :

للك الملك الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦) سلطان مصر المملوكي الكبير ، فضلا عن بطولاته الحربية الباهرة ، أعمال عمرانية جليلة وحسنات عميمة في طول البلاد الشامية وعرضها . وهو قد أحب بيت المقدس وزارها ثلاث مرات سنة ٦٦١ هـ و سنة ٦٦٤ هـ وسنة ٦٦٨ هـ ، وجدد بناء ما كان تهدم من قبة الصخرة ، وجدد قبة السلسلة وزخرفها ، ورتب برسم مصالح المسجد في كل سنة خمسة آلاف درهم ، وأنشأ بجوار القدس خانا كبيرا للمسافرين . وكان من مآثره أيضا انه بني قبة ومسجدا على قبر النبي موسى عليه السلام قبلي اريحا ووقف عليه وقفا سنة ٦٦٨ . وقد صار مقام النبي موسى من بعد مقصدا لآلاف الزوار الذين كانوا يؤمنونه في « موسم ائني موسى » الشهير في فصل الربيع من كل عام (آذار أو نيسان) . وقد كنت ابحث عن وقفية الظاهر بيبرس على مقام النبي موسى منذ بعض الوقت الى ان وجدتھا في صدفه من محاسن الصدف في الكتاب المخطوط ، الذي لم يتم على ما يبدو ، « اعلام الاسلام في مواطن الانبياء فلسطين » للعلامة المرحوم عبد الله مخلص (ص ١٣١ وما بعدها) وهأنذا ابادر الى نشر هذه الوثيقة المقدسية الجديدة التي تتحدث عن مآثره من مآثر السلطان العظيم ، وصفحة من صفحات المجد الفابر . وهذا هو نص الوقفية (التي ديلناها بحواش وتعليقات) :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس لك من دنياك الا ما اكلت فانيت او لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت » (١) . وقال صلى الله عليه وسلم « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : علم ينتفع به وولد صالح يدعو له وصدقة جارية على يديه » (٢) . ولما كان أحسن الصدقات وأبر المبرات ما لا ينقطع امدده ولا ينتهي مدده ، وهي الصدقة الجارية الباقية بقاء هذه الدار الفانية لا تكون مشروطة بالحياة ولا مقطوعة بالممات وذلك الوقت الذي تدوم فوائده وتبقى عوايده فيحيى ذكر واقفه عند صرف ريعه الى مصارفه ويكون له عمرا ثانيا . ولقد شرف الله سبحانه وتعالى ، تواتر على البرابا بره وتوالى ، بشرف سلوك هذه الطريقة صاحب هذه المجلة الشرعية والوثيقة المرعية المرضية اليقينية مولانا السلطان الملك الظاهر العادل المؤيد المظفر المنصور ركن الدنيا والدين منقذ الاسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين فاتح الامصار مبيد الافرنج والتتار مقتلع القلاع من أيدي الكفار وارث الملك سلطان العرب والعجم والترك ملك الزمان صاحب القرآن مسترد ضوال (٣) الاسلام من أيدي الطفيان ملك البحرين مانك القبلتين خادم الحرمين الشريفين الأمر ببيعة الخليفة (٤) قسيم أمير المؤمنين خلد الله سلطانه وذلك بعد عودة ركابه العزيز من الحج المبرور وتوجهه لزيارة القدس الشريف تقبل الله عنه في منابه (٥) فأنشأ أنواعا من بقاع الخيرات السنية وأبنية الحسنات البنية فمن جملة ذلك المقام الكريم الذي انشأه على ضريح موسى الكليم على نبينا وعليه افضل الصلاة والتسليم . ووقف حضرة الواقف العالي الشأن السامي المكان أفاض الله تعالى عليه في جميع الازمان سجال البر والاحسان لمصالح هذا المقام الكريم المبارك عدة من اصناف الاوقاف بنية وافية وعزم كاف فمنها الاراضي والاملاك الجارية في ملكه وتحت تصرفه والتي ابتاعها من ماله الخاص ، وهي جميع القرية المسماة بترمسعيا (٦) وجميع القرية المسماة بالمرعة (٧) وجميع القرية المسماة بخربة ابي فلاح (٨) وجميع ارض قرية سور باهر (٩) وكلها من اعمال القدس الشريف ومنها جميع الطاحونة الواقعة على المياه المعروفة بواد القلط (١٠) وجميع مياه وأراضي هذا الوادي وجميع مياه وأراضي الفوار (١١) وقرية اريحا بكاملها ، ومنها جميع أراضي الغور الواقعة بين دير السيق (١٢) غربا الى زعتر (١٣) والبحيرة الممتدة (١٤) شرقا من أعمال القدس الشريف ايضا أرضها وترابها وحجرها وماءها وشجرها بجملة مالها من الحدود والمرافق والتوابع والواحق والطرق والمسالك وسائر ما لا بد منه لذلك ذكر او لم يذكر سطر أم لم يسطر وقفا صحيحا شرعيا حبسا صريحا مرعيا وسبيلا محكما مبرما مرضيا . ولقد تحقق ذلك وصح وتبين شأنه واتضح حيث أقر واعترف مولانا السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري بانه وقف وسبل كافة ما ذكر مجمعا او مفصلا

مما اعد للاستغلال من القرى والموقوفات بجميع حقوقها ومراسمها وحدودها مما يدخل الوقف بمقتضى الشرع المطهر . أما البقاع المباركة المرقومة فقد وقفها وعينها ليتصرف عليها (١٣) في اطعام الطعام لزوار مقام النبي موسى الكليم عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والتسليم ابان موسم الزيارة من كل عام وفي الانفاق على التبريدارية (١٤) الموجودين في مقام هذا النبي الكريم . ولا جناح على من وليها ان يأكل منها بالمعروف . وقد نصب متوليا لاقامة مصالح كافة الموقوفات ورعاية مهمات هذه المسبلات من البناء والتعمير والاستغلال والقبض والبسط والحفظ والضبط وأمور التسجيل عين العلماء والمدرسين الكرام بدر سما المعالي الفخام صدر اساطين الموالى العظام قدوة الصلحا الشيخ الشريف عبد الله بن يونس (١٥) وقد رام مولانا الملك الظاهر بيبرس سيد ملوك الارض على الاجماع المخصوص بملك اشرف البقاع ان يرجع عن وقفه هذا (١٦) ويرد الموقوفات الى ملكه القديم فعارضه المتولي المرقوم وتحاكما الى المولى الفاضل فخر الاسلام وشمس الائمة مظهر كلمة الله العليا الحاكم الموقع على الكتاب بتوقيعه الشريف المستطاب لزال عقد المسائل محلولة باسنان اقلامه فنظر في محل النزاع وشاهد في جانب المتولي رجحانا قويا وعين في يده برهانا جليا وحكم بصحة هذه الاوقاف ولزومها على الشرايط المسطورة على رأي من يراه من الائمة رضوان الله عليهم حكما صحيحا شرعيا ووقفا صريحا مرعيا فصار وقفا لازما مسجلا لا يجوز بعد ذلك تغييره وتبديله « فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم » (١٧) وأجر الواقف على الله جرى ذلك وحرر في أواسط رجب سنة ثمان وستين وستاية .

شهود الحال

جمال الدين بن أقوش النجمي (١٨)

عبد مولانا الملك وولي السلطان

محمد بن عبد الله

ولي مولانا السلطان

(وقد كتب باعلا كتاب الوقف هذا وعلى الجانب اليسار منه : صدر من العبد الفقير اليه سبحانه وتعالى الخوجه جمال الدين بن ربيع (١٩) المولى خلافة بمدينة القدس عفي عنه) .

حواش وتعليقات :

- (١) صحيح مسلم ، زهد ٢ .
النسائي ، وصايا ١ .
- (٢) مسلم ، وصية ١٤ .
ابو داود ، وصايا ١٤ .
الترمذي ، احكام ٢٦ .
- (٣) ضوال ، جمع ضالة (مؤنث ضال) ، وهي الشيء المفقود الذي تسمى وراه .
- (١٢) بيبرس هو الذي اقر خلفاء بني العباس بمصر ، بغد انقراض دولتهم ببغداد .
- (٤) مناب : اناب الى الله : رجع اليه واقبل وتاب ، والمناب هنا : الرجوع الى الله والاقبال عليه .
- (٥) ترمسعا : قرية شمال شرق رام الله على بعد ٢٣ كم منها وتقع قرب قرية سنجل . يذكر اهلها انهم حجازيون من بني مرة . تملك ترمسعا ١٧٦١١ دونما ، والمشهور ان اراضي القرية موقوفة على مقام النبي موسى . وهذا ما تؤكد الوقفية . (الدباغ : بلادنا فلسطين ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٢٨٢ / ٢٨٤) .
- (٦) الزرعة : المقصود ما يعرف اليوم بالزرعة الشرقية شمال شرق رام الله ايضا على بعد ٢ كم من طريق القدس نابلس عند الكيلو ٣٣ . اقرب قرية لها سلواد ، من قرى بني مرة ايضا (الدباغ ، المصدر السابق ، ص ٢٩٦) .
- (٧) خربة ابي فلاح : شمال شرق رام الله . كفر مالك اقرب قرية لها ، صغيرة ، مساحتها الان ١٩ دونما وتملك ٨١٨٦ دونما ، تحيط بأراضيها اراضي ترمسعا والزرعة الشرقية ، والقرى الثلاث متجاورة . (الدباغ ، المصدر السابق ص ٢٩٩) .
- (٨) سور باهر : (صور باهر اليوم) : قرية تقع جنوب القدس قرب قرية بيت صفاها ، يحيط بأراضيها اراض عرب السواخرة وعرب المبيدية وسلوان وبيت لحم وبيت صفاها والقدس . كان عدد سكانها ١٩٦١ ، ٢٣٣٥ نسمة .
- (الدباغ ، المصدر السابق ص ١٦٩ / ١٧٠) .
- (٩) وادي القلط : وادي يقع قرب اريحا تنتهي اليه المياه من تلال البيرة وعنانا والرام . وتتجمع فيه ثم تستمر في سيرها نحو الشرق الى ان تنتهي بوادي الاردن . كان اهل القدس يؤمنون للزربة . ويحتوي وادي القلط على اثار وبه مغارة فيها كتابات يونانية . (وطاحونة القلط) بها قناة ، ونفق منقور في الصخر وبقايا جسر .
- (الدباغ ، المصدر السابق ص ٥٣٢) .
- (١٠) الفوار : عين الفوار تقع الى الشمال الشرقي من قرية عنانا التي تقع خلف جبل الزيتون الى الشمال الشرقي من القدس . وتقع قرب عين القلط ، بين هذه الاخيرة وعين فارة .
- (١١) دير السيق : كان هذا الدير يقع على نشز عال قبلي القدس ، مشرف على الفور ، وعلى قبة

- موسى التي بناها الظاهر بيبرس .
(بلدانية فلسطين العربية للاب مرمجي الدومنيكي ص ٨٢ ، نقلا عن العمري) . ويقول مجير الدين الحنبلي ان الظاهر بيبرس مر بالدير الذي يبعد عن القدس نحو نصف بريد ، عام ٦٦٨ هـ . . . وكان فيه نحو ٣٠٠ راهب فاهدم بهم صوامعهم خوفا على القدس من العدو المخدول .
(الانس الجليل ، ج ٢ ، ص ٨٧) .
ويعرف موقع الدير اليوم باسم « دير السوق » أو « خربة السوق » وهو موقع اثري . ويطلق على الموقع ايضا « دير الزق » و « خربة مشمش » .
(١٢) زعترة : يقول الدباغ (ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٤٩٨) : ان زعترة قرية قريبة من بيت لحم ومن قرية تقوع . ولا ادري ان كانت هي المقصودة ، ولا ارجح ذلك ، ولعل المقصود قرية اخرى كانت الى الشرق من مقام النبي موسى وقرب البحر الميت .
(١٣) البحيرة المنتنة ، هي البحر الميت ، ومن اسمائها ايضا : بحيرة زغر ، وبحيرة لوط .
(١٤) كذا في الاصل ، ولعل وجه الصواب ان يقال : « ليصرف ريعها » .
(١٥) التبردارية : القيمون على التربة او المقام .
هو جد آل يونس (الحسيني اليوم) بالقدس ، فيما نعتقد .
(١٦) لما كان الامام ابو حنيفة ، دون تلامذته وباقي الائمة ، يبيع للواقف نسخ الوقف والرجوع عنه فان الواقف كان يقيم دعوى شكلية على الناظر او متولي تسجيل الوقف لاستعادة العقار الى ملكيته على اساس ان الوقف الذي اعلنه غير لازم ويمكن الرجوع عنه . ولدى نظر الدعوى كان القاضي يثبت الوقف استنادا الى آراء الامام ابي يوسف وغيره من الائمة الذين كانوا يرون عدم جواز رجوع الواقف عن وقفه . وبذلك كان يتأكد لزوم الوقف وتثبت الوقفية .
(١٧) « فمن بدله . . سميع عليم » الآية ١٨١ من سورة البقرة .
(١٨) هو جمال الدين افوش النجمي : كان مملوكا للملك الصالح نجم الدين ايوب ، ثم اصبح استادارا له (اي مديرا لشؤون قصره) ، وانتقل الى خدمة الظاهر بيبرس في ١٩ ذي القعدة سنة ٦٥٨ (٢٦ اكتوبر ١٢٦٠) واصبح استادارا له ايضا . وفي سنة ٦٦٠ اصبح كافلا للممالك الشامية ، أي نائبا للملك في الشام ، ثم عزل في ربيع الاول سنة ٦٧٠ . وتوفي في ٥ ربيع الاول سنة ٦٧٧ ، وقد اناف على السبعين .
(انظر الذهبي ، دول الاسلام ، ج ٢ ، طبعة حيدر اباد ، ص ١٢٣) . وتاريخ ابي الفدا ، تحقيق رايסקه ج ٥ ، ص ٣٠ . وابن تفرج بردى ، « المنهل الصافي » ، مخطوط باريسى Ar 2069 ورقة 5R,V ، وليوماير « مجلة دائرة الآثار الفلسطينية QDAP المجلد الثاني ، رقم ١ (سنة ١٩٣٢) ص ٢٧ » .
(١٩) يقول الانس الجليل ج ٢ ، ص ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ : ان جمال الدين بن ربيع كان أمين الحكم في القدس (أي متولي شؤون الایتام في محكمة القدس) وهي وظيفة تولها سنة ٨٨١ . وقد توفي في ١٢ جمادى الاولى سنة ٨٩٢ .

وتظهر الوقفية ان ابن ربيع تولى قضاء القدس أيضا . اما لقب الخوجة (الخواجة) الذي يسبق اسمه فكان يطلق على المعلم او التاجر . والذي يظهر لنا ان ملاحظة عبد الله مخلص حول صدور كتاب الوقف عن جمال الدين بن ربيع لا تعني كتاب الوقف الاصلي لبيرس وانما كتاب وقف يشيت كتاب الوقف الاصلي صدر في اواخر القرن التاسع الهجري (أي بعد كتاب الوقف الاصلي بأكثر من مائتي سنة) .

وكانت العادة ان القضاة كانوا يشيتون كتب الوقف الاصلية ، ويشهدون بصحتها ، عندما ترفع لهم قضايا تتعلق بالوقف ، قبل اصدار حكم في القضية .

ومن المؤسف ان عبد الله مخلص لا يشير الى المصدر الذي نقل عنه كتاب الوقف .. (وهو سجل من سجلات المحكمة الشرعية بالقدس على الأرجح) ، ولا يذكر رقم السجل ولاتاريخه .